مناقب بغداد

تأليف

جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الشهير
بابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

انتسخه عن نسخة مصورة عن النسخة المحفوظة في الخزانة التيمورية في القاهرة
وعني بتصحيحه وتعليق هوامشه ونشره

محمد بهجة الأثري البغدادي

مطبعة دار السلام : بغداد

١٣٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

اما بعد فان من آثار السلف الصالح التي عثرت عليها بالبحث والتنقيب وصحت عزيمتي على طبعها ونشرها هذه الرسالة المسماة (مناقب بغداد) لابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري الحنبلي الملقب جمال الدين الشهير بابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

وقد اطلعني شيخي علامة العراق المفضال السيد محمود شكري الآلوسي على نسخة منها فوتوغرافية (١) ، مهداة من حضرة العالم المحسن الجواد الشهير صاحب السعادة احمد تيمور باشا المصري الى صديقنا الاستاذ انستاس ماري الكرملي ، فوجدتها — على صغر حجمها — قد احتوت على فوائد مهمة بعبارة موجزة ربما يصعب العثور عليها في غيرها فراقت لي وعزمت على طبعها ونشرها .

ولما صحت العزيمة انتسخت نسخة منها بيدي ، وقابلتها بعد اتمامها بالاصل ، وعنيت بتصحيحها بعد مراجعة كثير من المظان ، وزدت بعض عبارات للتكميل وضعتها بين قوسين ( ) ثم علقت في اثناء اعادة نظري عليها سوانح وخطرات ربما تقع موقع القبول لدى الحذاق والمتبصرين ، فجاءت بحمد الله تعالى اصح واحسن من الاصل بكثير وان لم اتوفق لتصحيحها حسب ما احب ، فقد بقيت مواضع لم اهتد الى قراءتها لرداءة الخط وغموضه فاضطررت

---

(١) يظهر من عبارة كتبت في هامش الكلام على انهار بغداد انها منقولة عن نسخة بخط ابن الجوزي .

الى ان اكتب على هوامش بعضها مايناسب المعنى مما اجده في بعض المظان ، وان اترك مالا اجدله نصاً أولا افقه له معنى واشير اليه بقولي (كذا الاصل) أو (لعل الصواب كذا) أو (كذا الاصـل والصواب كذا) على حسب اقتضاء المقام .

هـذا وان نسبة هذه الرسالة الى الشيخ عبد الرحمن بن الجوزي لست بواثق بها ، ولا جازم بصحتها ، فقد راجعت ما بين يدي من الكتب التي ترجم فيها ابن الجوزي وذكرت له فيها ما ينيف على مائة كتاب في التفسير والحديث والفقه والسير والتراجم والوعظ والتصوف والجغرافية والتاريخ واللغة ، فلم ار بينها لهذه الرسالة ذكراً . وقد يجوز ان يكون من ترجمه لم يقف عليها أو لم يسمع بها فاغفلها والله أعلم .

بغداد : ١ رجب سنة ١٣٤٢ هـ محمد بهجة الأثري

بسم الله الرحمن الرحيم

نقلت من كتاب مناقب بغداد الذي الفه الشيخ جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي

قال : ذكر علماء الاوائل ان اقاليم الارض سبعة ، وان الهند رسمتها فجعلت صفة الاقاليم كأنها حلقة فالاقليم الاول بلاد الهند . والثاني الحجاز . والثالث مصر . والرابع بابل وهو اوسط الاقاليم واعمرها وفيهِ جزيرة العرب وفيهِ العراق الذي هو سرة الدنيا و بغداد هي وسط هذا الاقليم . والخامس بلاد الروم والشام . والسادس بلاد الترك . والسابع بلاد الصين . . فالاقليم الرابع الذي فيهِ العراق وفي العراق بغداد هو صفوة الارض ولذلك اعتدلت الوان اهله ، وامتدت اجسامهم ، وسلموا من شقرة الروم والصقالبة ومن سواد الحبش وسائر اجناس السودان ومن غلاظة الترك ومن جفاء اهل الجبال وخراسان ، ومن دمامة اهل الصين ومن جانسهم وشاكل خلقهم فلذلك اعتدلوا في الخلقة ولطفوا في الفطنة والتمسك بالعلم والآداب وهم اهل العراق ومن جاورهم .

حد العراق

من بلد (حديثة الموصل) الى عباذان طولا ومن العذيب الى جبل طور عرضاً (١) .

---

(١) هنا نحو سطر لم نتمكن من قراءته لغموضه فاعتضنا عنه بغيره . قال شيخ مشائخنا

مدح العراق

روي عن معاذ بن جبل انهُ قال : قال النبي صلى الله عليهِ وسلم أللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا وفي شامنا وفي يمننا وفي حجازنا قال فقام اليهِ رجل فقال يارسول الله وفي عراقنا فأمسك النبي « ص » فلما كان في اليوم الثاني قال مثل ذلك (فقـام اليهِ الرجل فقال يارسول الله وفي عراقنا . فأمسك النبي « ص » فلما كان) في اليوم الثالث (قام اليهِ الرجل فقال يارسول الله وفي عراقنـا فأمسك النبي « ص ») فولى الرجل وهو يبكي فدعاه النبي « ص » فقال : أمن العراق انت ؟ قال : نعم . قال : ان ابراهيم هم ان يدعو عليهم فأوحى الله اليه : لا تفعل فاني جعلت خزائن علمي فيهم واسكنت الرحمة في قلوبهم (١) .

وروي عن ابن عائشة انهُ قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ الى كعب الاحبار : أن اختر لي المنازل ، فكتب : يا أمير المؤمنين انهُ بلغنا ان الاشياء اجتمعت فقال السخاء : اريد اليمن . فقال حسن الخلق : انا معك . وقال الجفاء : اريد الحجاز . فقال الفقر : وانا معك . وقال البأس : اريد الشام . فقال السيف : وانا معك . وقال العلم : اريد العراق . فقال العقل : وانا معك . وقال الغنى : اريد مصر . فقال الذل : وانا معك ، فاختر لنفسك . فلما ورد الكتاب

الشهاب الالوسي في الطراز المذهب (١١٢) : حد العراق طولا من حديثة الموصل على دجلة او من العلث وهو شرقي دجلة لا العلث الذي غربيها قرب الدجيل او من الموصل كما في القاموس — الى عبادان ، وعرضاً من القادسية قرب الكوفة الى حلوان . وهو يذكر باعتبار الاقليم ويؤنث باعتبار البلاد والارض . انتهى باختصار . اقول : وفي حده اختلاف ذكر في معجم البلدان (٦ : ١٣٥) .

(١) اقول : ان هذا الحديث لم يخرجه احد من الثقات ، وامارات الوضع بادية عليه اذ لم يثبت شيء ما في مدح العراق عن النبي صلى الله عليه وسلم قط بل قد ذمه في احاديث كثيرة ثبتت عنه . منها : حديث ابن عباس رضي الله عنهما قل : دعا النبي (ص) فقال : اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وبارك لنا في شامنا ويمننا فقال رجل من القوم : يا نبي الله وعراقنا . قال : ان بها قرن الشيطان وتهيج الفتن وان الجفاء بالمشرق ، رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات كذا في الترغيب والترهيب للامام المنذري ،

عليه قال : فالعراق اذن فالعراق اذن [١] .

اسم بغداد

قال الاصمعي : لا يقال بغداد بل مدينة السلام فان في الحديث ان « بغ » بالفارسية صنم ، و « داد » عطيته فكأنها عطية الصنم . وقال عبدالله ابن المبارك : لايقال بغداذ بالذال (المعجمة آخره) فان « بغ » شيطان و « داذ » عطيته فانها شرك ولكن يقال بغداد و بغدان كما تقول العرب . وقال ابو عبيدة : يقال بغداد و بغداذ و بغدان ومغدان . . وقال محمد بن القاسم الانباري : قولهم بغداذ من لغة الاعاجم و (معمدمالقرعه) [٢] بستان رجل بغ بستان وداد رجل . وقيل : هو اسم صنم ولا اشتقاق له في لغة العرب ولا اصل في كلامهم . وسميت مدينة السلام لمقاربتها دجلة وكانت دجلة تسمى قصر السلام [٣] . وانما قيل بغدان ومغدان للمجانسة بين الباء والميم كما يقال عذاب لازب ولازم . وقيل : ان المنصور لما اراد وضع الاساس قال : ما اسم هذا الموضع ؟ فقالوا : لا ندري ولكن ههنا رجل من الاولين فبعث عليهِ وسأله : ما اسمك ؟ فقال : اسمي داد . فقال : وما اسم هذا الموضع ؟ فقال : هذا باغ لي ، يعني البستان فسموه باغ داد . وقيل : ان هذا الاسم كان يعرف به قديماً قبل المنصور . وكانت بغداد في ايام ممالك الاعاجم قرية تقوم

---

(١) اقول : ذكر الثعالبي في المضاف والمنسوب نحواً من هذا غير انه فيه ذم للعراق . قال : ذكر ابو الحسن المدائني عن اشياخه عن الحجاج انه كان يقول لما نزلت الاشياء منازلها قالت الطاعة : انا انزل الشام ، فقال الطاعون : وانا معك . وقال الخصب : انا انزل العراق ، فقال النفاق : وانا معك . وقالت الصحة : انا انزل البادية ، فقال الشقاء : وانا معك .

(٢) كذا الاصل وعبارة ابن الانباري التي وردت في معجم البلدان : اصل بغداد للاعاجم والعرب تختلف في لفظها اذ لم يكن اصلها من كلامهم ولا اشتقاقها من لغاتهم . . قل بعض الاعاجم : تفسيره بستان رجل فباغ بستان وداد اسم رجل .

(٣) كذا الاصل والصواب وادي السلام .

بها للفرس في كل سنة سوق عظيمة ويجتمع بها في ذلك الموسم التجار فلما توجه المسلمون الى العراق وفتحوا اول السواد ذكر للمثنى بن حارثة الشيباني أمر سوق بغداد فقصدها وهو اول من بوارب [1] الفرس في خلافة أبي بكر الصديق (رض) وسبب ذلك ان اهل الحيرة قالوا له : ألا ندلك على قرية يأتيها تجار مدائن كسرى وتجار السواد ويجتمع بها كل سنة من اموال الناس مثل خراج العراق وهذه ايام موسمهم الذي يجتمعون بهِ فان انت قدرت عليهم وهم لايشعرون اصبت بها اموالا يكون بها عز المسلمين وقوتهم على عدوهم وبينها وبين مدائن كسرى عامة يوم فسار الى الانبار واخذ منها من يدله الطريق ثم سار حتى صبحهم في اسواقهم فوضع فيهم السيف وقال لاصحابهِ : لا يأخذون الا الذهب والفضة ومن المتاع مايقدر الرجل على حمله على دابتهِ ففعلوا ذلك وعادوا الى الانبار وقد غنموا اموالا كثيرة .

بناء بغداد

روى عن حميد بن جبلة قال : حدثني ابي عن جدي جبلة قال : كانت مدينة ابي جعفر قبل بنائها مزرعة للبغداديين يقال لها المباركة وكانت لستين نفساً من البغداديين فعوضهم عنها عوضاً ارضاهم فأخذ جدي جبلة قسمته فيهم . قال سلمان بن مخالد : خرج المنصور يرتاد منزلا فخرجنا على ساباط فتخلف بعض اصحابنا لرمد اصابه فاقام يعالج عينه فسأله الطبيب : اين يريد امير المؤمنين؟ فقال : يرتاد منزلا . قال : فانا نجد في كتاب عندنا ان رجلا يدعي مقلاصاً يبني مدينة من دجلة والصراة تدعى الزوراء فاذا اسسها وبنى غرفاً منها اتاه فتق من الحجاز فيقطع بناءها ويقبل على اصلاح ذلك الفتق فاذا كاد يلتئم اتاه فتق من البصرة هو اكبر منه فلا يلبث الفتقان ان يلتئما ثم يعود الى بنائها

(١) لعله حارب .

فيتمه ويعمر عمراً طويلا ويبقى الملك في عقبه . قال سليمان : فبنيا امير المؤمنين في اطراف الجبال يرتاد منزلا اذ قدم صاحبي فاخبرني الخبر فاخبرت به امير المؤمنين فدعا الرجل فحدثه الحديث فكر راجعاً عوده على بدئه وقال : انا والله ذلك لقد سميت مقلاصاً وانا صبي ثم انقطعت عني ، ثم انه شاور في ذلك فاتفق رأى القوم على بغداد وقالوا له : تجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة ، ومن ارمينية وما اتصل بها في تامرا حتى تصل الى الزاب ومن الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة وانت بين انهار لا يصل اليك عدوك الا على جسر او قنطرة فاذا قطعت الجسر واخربت القناطر لم يصل اليك عدوك وانت من دجلة والفرات لا يجيئك احد من المشرق او المغرب الا احتاج الى العبور فدجلة والفرات خنادق لامير المؤمنين ، فوجه في حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط (فاحضروا وامر) (١) باختيار قوم من اهل الفضل والعدالة والثقه والامانة والمعرفة بالهندسة وكان ممن احضر الحجاج بن ارطاة وابو حنيفة النعمان بن ثابت وكان ابو حنيفة يعد اللبن بالقصب ، وامر بخط المدينة وحفر الاساسات وضرب اللبن وطبخ الآجر وكانت اللبنة ذراعاً في ذراع ووزنت لبنة فكانت مائة وسبعة عشر رطلا فبدىء بذلك وكان ذلك في سنة خمس واربعين .

واحب ان ينظر اليها فامر ان تخط بالرماد واقبل يدخل من كل باب ويمر في فصلانها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد وأمر أن يحفر الاساس على ذلك الرسم . . ولما احتاج المنصور في بنائه الى الانقاض قال لخالد بن برمك : ما ترى في نقض بناء كسرى المدائن ؟ فقال : لا ارى ذلك لانه علم

(١) في الاصل : وواسط والبصرة فاحه ووصع متهم الوف ثم امر ؟ والعبارة ترى محرفة وقد صححناها على معجم البلدان .

من اعلام الاسلام يستدل به الناظر اليه على انه لم يكن ليزال مثل اصحابه عنه بامر دنيا وانما هو بامر دين . فقال : ابيت الا الميل الى اصحابك الاعاجم وامر بنقض القصر الابيض. فنقضت ناحية منه وحمل نقضه فنظر في الخرج عليه فوجدوه اكثر من ثمن الجديد فرفع (دناحدورعا) [١] فدعا خالداً واخبره بذلك وقال : ما ترى ؟ قال : قد كنت ارى ان لا تفعل . فلما اقدمت فارى ان تهدم لئلا يقال انك عجزت عن هدمه . فاعرض عن ذلك وامر ان لا يهدم ذلك [٢] . وامر ان يجعل عرض السور من اسفله خمسين ذراعاً واعلاه عشرين ذراعاً فكان في كل ساف مائة الف لبنة واثنتان وستون الف لبنة وكان ارتفاع السور خمساً وثلاثين ذراعاً وجعل لها سورين وفصيلين وجعلت المدينة مدورة ، وتمت في سنة ست واربعين ونزلها ونقل اليها الخزائن وبيوت الاموال والدواوين . وقيل : ان مساحتها مائة جريب وثلاثون جريباً . وانفق عليها ثمانية عشر الف الف . وقال احمد بن علي : رأيت في بعض الكتب انهُ انفق عليها وعلى جامعها وقصر الذهب فيها وابوابها ما جملة ذلك اربعة آلاف الف وثمانمائة الف وثلاثة وثمانين درهماً وكان الاستاذ من الصناع يعمل يومه بقيراط الى خمس حبات ، والروزجاري بحبتين الى ثلاث حبات . ذكر اسحق الازدي : ان رباحاً البناء حدثهُ وكان ممن يتولى بناء سور مدينة المنصور – قال : من كل باب من ابواب المدينة الى الباب الآخر ميل ، وفي كل ساف مائة الف لبنة واثنان وستون الف لبنة . فلما بنينا الثلث من السور لطفناه

---

(١) كذا الاصل .

(٢) ومثل هذه القصة وقعت ليحي بن خالد مع الرشيد وهو اذ ذاك في اعتقاله وكان الرشيد بلغه ان تحته كنزاً فاراد هدمه واستشار يحيي فاشار عليه بمثل هذا . انظر نهاية الارب للنويري (١ : ٣٨٠) .

فصيرنا الساف مائة الف لبنة وخمسين الف لبنة . فلما جاوزنا الثلثين لطفناه فصيرنا في الساف مائة واربعين الف لبنة الى اعلاه . وذكر الخطيب : ان ارتفاع السور خمسة وثلاثون ذراعاً ، وعرضهُ من اسفله نحواً من عشرين ذراعاً . وجعل للمدينة اربعة ابواب فاذا جاء احد من الحجاز دخل من باب الكوفة ، واذا جاء من المغرب دخل من باب الشام ، واذا جاء من الاهواز وواسط والبصرة والبحرين دخل من باب البصرة ، واذا جاء من المشرق دخل من باب خراسان . ومن الباب الى الباب الف ذراع ومائتا ذراع وعلى كل ازج من ازاج هذه الابواب مجلس له درجة وعليهِ قبة عظيمة سمكها في السماء خمسون ذراعاً مزخرفة وعليها تمثال تديره الرياح (فاذا اراد المنصور النظر الى الماء والى من يقبل من القبة و يجلس في باب القبة واذا أحب النظر الى الارباض جلس في قبة باب الشام ، واذا أحب النظر الى الكرخ جلس في قبة باب الكوفة)[١] وكان على كل باب منها باب جديد نقل من واسط وهي ابواب الحجاج ، ويقال ان الحجاج نقلها من مدينة بناها سليمان بن داود واتفق له في سنة سبع وثلثمائة ان العامة كسرت الحبوس وافلت من كان فيها فغلقت الابواب وتتبعهم الشرط فلم يفلت منهم واحد . . وكان على ابواب المدينة ستور وحجاب وعلى كل باب قائد في الف وبين كل بابين ثمانية وعشرون برجاً وكان المنصور يجلس في هذه القباب للنزهة وكان لا يدخل احد من هذه الابواب الا راجلا الا المهدي وداود بن علي عم المنصور فانهُ كان متقرساً

---

(١) العبارة التي وضعناها بين القوسين محرفة وصوابها : (وكانت هذه القبة مجلس المنصور اذا احب انظر الى الماء والى من يقبل من ناحية خراسان ، وقبة على باب الشام كانت مجلس المنصور اذا احب انظر الى الارباض وما والاها ، وقبة على باب البصرة كانت مجلسه اذا احب نظر الى الكرخ ومن اقبل من تلك الناحية ، وقبة على باب الكوفة كانت مجلسه اذا احب النظر الى البساتين والضياع) انظر ص ١٣ من مقدمة تاريخ الخطيب البغدادي ،

فيحمل في محفة فقال له عمهُ عبد الصمد بن علي: يا أمير المؤمنين انا شيخ كبير فلو أذنت لي ان انزل داخل الابواب فلم يأذن له . فقال : يا أمير المؤمنين عدني بعض بغال الروايا التي تصل الى الرحاب . فقال : يا ربيع (بغال الروايا) تصل الى رحابي ؟ فقال : نعم . فقال : تتخذ الساعة قني بالساج من باب خراسان حتى تجيء الى قصري فمدت قناة من نهر دجيل الآخذ من دجلة قناة وقناة من نهر كرخايا الآخذ من الفرات (وجرهما) الى المدينة في عقود وثيقة محكمة بالآجر والصاروج وكانت كل قناة منها تدخل المدينة وتنفذ في الشوارع والدروب وتجري صيفاً وشتاء واجرى لاهل الكرخ انهاراً . وكان المنصور يقول للربيع : هل تعلم في بنائي هذا موضعاً اذا اخذني فيهِ الحصار خرجت خارجاً منهُ على فرسخين ؟ فقال : لا . قال : بلى . ولعله أشار الى القنوات . وكانت الابنية متصلة بالمدينة من شاطىء دجلة الى الكبش والاسد وهما موضعان قريبان من قبر ابراهيم الحربي . حكى بشر بن علي بن حميد الكاتب قال : كنت اجتاز بالكبش والاسد ولا اكاد اخلص في اسواقها من شدة الزحمة .

بناء القصر

وأمر ببناء قصر كانت مساحتهُ اربعمائة ذراع في اربعمائة ذراع وكان في صدره ايوان طوله ثلاثون ذراعاً وعرضهُ عشرون ذراعاً وفي صدر الايوان مجلس عشرون في عشرين وفي صدر القصر القبة الخضراء طولها ثمانون ذراعا وعلى رأسها تمثال فرس عليهِ فارس . وقيل : كان على رأسها صنم في صورة فارس في يده رمح وكان السلطان اذا رأى ذلك الصنم قد استقبل بعض الجهات ومد الرمح نحوها ، علم ان بعض الخوارج يظهر من تلك الجهة فلا

يطول الوقت حتى ترد عليه الاخبار بأن خارجياً قد هجم من تلك الجهة [١].

روي ان رأس هذه القبة سقط يوم الثلاثاء لسبع خلون من جادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثلثمائة وكان ليلتئذ مطر عظيم ، ورعد هائل ، وبرق شديد ، وكانت هذه القبة تاج بغداد ، وعلم البلد ، ومأثرة من مآثر بني العباس ، بنيت اول ملكهم فكان بين بنائها وسقوطها مائة واربعة وثمانون سنة .

بناء القصر المسمى بالخلد

بنى قصراً على دجلة [٢] مما يلي باب خراسان ، وسماه « الخلد » تشبيهاً بجنة الخلد لما حوى من العجائب .

بناء الرُصافة

وفي سنة احدى وخمسين ومائة ابتدأ المنصور ببناء الرصافة بالجانب الشرقي لابنه المهدي .. وكان السبب في ذلك ان الراوندية شغبت على المنصور وحاربوه على باب الذهب فدخل عليه قثم بن العباس بن عبد الله بن العباس وهو يومئذ شيخ كبير مقدم عند القوم فقال له المنصور ما ترى ما نحن فيه من التياث

---

(١) اقول : ان هذا - كما يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان (٢ : ٢٣٥) - من المستحيل والكذب الفاحش ، وانما يحكى مثل هذا عن سحرة مصر وطلسمات بليناس التي اوهم الاغمار صحتها تطاول الازمان والتخيل ان المتقدمين ما كانوا بني آدم ، فاما الملة الاسلامية فانها تجل عن هذه الخرافات فان من المعلوم ان الحيوان الناطق مكلف الصنائع لهذا التمثال لا يعلم شيئاً مما ينسب الى هذا الجماد ولو كان نبياً مرسلا وايضاً لو كان كلما توجهت الى جهة خرج منها خارجي لوجب ان لا يزال خارجي يخرج في كل وقت لانها لابد ان تتوجه الى وجه من الوجوه والله اعلم ،

(٢) اقول : وذلك في سنة ١٥٩ وكان موضع الخلد قديماً ديراً فيه راهب . قال الحموي : وانما اختار المنصور نزوله وبنى قصره فيه لعلة البق وكان عذباً طيب الهواء لانه اشرف المواضع التي ببغداد كلها قال : ومر بالخلد علي بن ابي هاشم الكوفي فنظر اليه فقال :

بنوا وقالوا لا نموت ... وللخراب بنى المبنى
ما عاقل فيما رأيت ... الى الخراب بمطمئن

العسكر علينا وقد خفت ان يخرج الامر من ايدينا ؟ فأشار ببناء الرصافة وقال : ان فسد عليك أمر هـذا الجانب ضربتهم بأهل ذلك الجانب فبنى الرصافة وعمل لها سوراً وهدفاً وميداناً و بستاناً وأجرى لها المـاء وأقطع القواد هناك قطائع . وكل ذلك البناء بالرهص[١] الا ما يسكنهُ المهدي ولده .

بنـاء الكرخ

لما فرغ المنصور من مدينته وصير الاسواق فيها من كل جانب قدم عليه وفد ملك الروم فامر ان يطاف بهم في المدينة ، ثم دعاهم فقال للبطريق : كيف رأيت هذه المدينة ؟ قال : رأيت امرها كاملا الا في خلة واحدة . (قال : ماهي ؟ قال:) عدوك يخترقها متى شاء وانت لا تعلم واخبارك مبثوثة في الآفاق لا يمكنك سترها. قال: كيف؟ قال: الاسواق فيها والاسواق غير ممنوع منها احد فيدخل العدو كأنه يريد ان يتسوق . واما التجار فانها ترد الآفاق فيتحدثون باخبارك ، فامر المنصور حينئذ باخراج الاسواق من المدينة الى الكرخ ، وان يبني ما بين الصراة الى نهر عيسى وولى ذلك محمد بن حبيش[٢] الكاتب ، ودعا المنصور بثوب واسع فخط فيه الاسواق ، ورتب كل صنف منها في موضعه وقال: اجعلوا سوق القصابين في آخر الاسواق فانهم سفهاء وفي ايديهم الحديد القاطع ، ثم امر ان يبنى لاهل الاسواق مسجد يجتمعون فيه يوم الجمعة لا يدخلون المدينة ، وقلد ذلك رجلا يقال له الوضاح فبنى القصر الذي يقال له (قصر) الوضاح والمسجد فيه ، وسميت الشرقية لانها شرقي الصراة ، ولم يضع المنصور على الاسواق غلة حتى مات فلما استخلف المهدي اشار عليه ابو عبد الله بذلك فامر فوضع على الحوانيت الخراج وكان ذلك سنة

---

(١) بكسر الراء وسكون الهاء الطين الذي يبنى به يجعل بعضه على بعض .

(٢) في مقدمة تاريخ بغداد : خنيس

سبع وستين ومائة . . وكانت سوق دار بطيخ [١] قبل ان ينقل الكرخ في درب يعرف بدرب الاساكفة ودرب يعرف بدرب الزيت ودرب يعرف بدرب العاج فنقلت السوق الى داخل الكرخ في ايام المهدي . . وفي سوق العتيقة مسجد [٢] تغشاه الشيعة وتزعم ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام صلى هناك . وقيل : انه مادخل بغداد وانما سلك طريق المدائن في ذهابه الى النهروان ورجوعه [٣] . . قال ابو العيناء : جلس المنصور يوماً وعنده وافد من ملك الروم فسمع صرخة كادت تقلع القصر فقال : ياربيع ينظر ما هذا ، ثم سمع صرخة اخرى اشد من الاولى ، فقال : ياربيع ينظر ما هذا ثم سمع صرخة اخرى اشد من الاولين فقال : ياربيع اخرج بنفسك . فخرج ثم عاد فقال : ياامير المؤمنين انها بقرة قربت لتذبح فغلبت الجزار وخرجت تدور في الاسواق فاصغى الرومي الى الربيع يتفهم مايقول ففطن المنصور لاصغائه فقال : ياربيع افهمه فافهمه فقال : يا امير المؤمنين انك بنيت بناء لم يبنه احد كان قبلك وفيه ثلاثة عيوب . قال : وما هي ؟ قال : اولها بعده عن الماء . والثاني فان العين خضرة تشتاق الى الخضرة وليس في محلك هذا بستان . والثالث فان رعيتك في بنائك واذا كانت الرعية مع الملك في بنائه فشى سره . قال : فتجلد المنصور وقال : اما الماء فحسبنا منه مابل شفاهنا . والثاني فانا لم نخلق للهو واللعب . واما سري فمالي سر دون رعيتي وعرف وجه الصواب فيما قاله فقال : مدوا لي قناتين من دجلة واغرسوا لي العباسية

---

(١) دار البطيخ محلة كانت ببغداد كان يباع فيها الفواكه . واياها اراد محمد بن محمد ابن لنكك البصري .

انت ابن كل البرايا لكن اقتصروا ... على اسم حمزة وصفا غير تشميخ
كدار بطيخ تحوي كل فاكهة ... وما اسمها الدهر الادار بطيخ

(٢) يسمى مسجد براثا ويعرف الآن بالمنطقة .

(٣) انظر مقدمة تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ص : ٣٥ و ٣٦) .

وانقلوا الناس الى الكرخ ففعلوا ماتقدم شرحه .

ورتب محال مدينة السلام من الجانبين ترتيباً حسناً وكان مساحتها من الجانبين ثلاثة وخمسين الف جريب وسبعمائة وخمسين جريبا : الجانب الشرقي ستة وعشرون الف جريب وسبعمائة وخمسون جريبا . والغربي سبعة وعشرون الف جريب ولم يذكر اسماء المحال وقال : ليس في ذكرها كبير فائدة فلهذا اضربنا عن ذكره .

قال احمد بن الحرث : صورت بغداد لملك الروم ارضها واسواقها وشوارعها وقصورها وانهارها غربيها وشرقيها فكان يعجب من وضع شوارع الجانب الشرقي خصوصا من شارع « الميدان »(١) وشارع « سويقة نصر » بن مالك (الخزاعي)(٢) والقصور التي في الاسواق والشوارع من « سويقة نصر » الى قنطرة البردان وكان اذا شرب دعا بالصورة فشرب على صورة شارع نصر ويقول: لم ار صورة شيء من الابنية احسن منه .

واما دار الخلافة فهي القصر الحسني كانت قصراً للحسن بن سهل فلما توفى صارت لابنته « بوران » واستنزلها عنها(٣) المعتضد وقيل المتعمد(٤) فعمرها وبيضها وفرشها باحسن الفرش وزينها بالخدم والجواري وكل ما تدعو الحاجة اليه فانتقل اليها واستضاف اليها مما يجاورها . . وبنى المكتفي بالله

(١) كان شارعاً ماراً من الشماسية الى سوق الثلاثاء وفيه قصر ام حبيب بنت الرشيد .
(٢) اقطعه اياها المهدي وهو والد احمد بن نصر الزاهد المطلوب في القران ايام الواثق .
(٣) في الاصل : عنه .
(٤) اقول : والصحيح ان الذي استنزلها عنها هو المعتمد وهي لم تعش الى زمان المعتضد وقد كان هذا القصر بعد ان جددته وفرشته - من احب البقاع الى المعتمد ، وكان يتردد فيما بينه وبين سر من رأى فيقيم هنا تارة ، وهناك اخرى ثم توفى فيه سنة : ٢٧٩ وحمل الى سامراء فدفن بها . . ثم استولاه المعتضد فاستضاف اليه ما جاوره فوسعه وكبره وادار عليه سوراً واتخذ حوله منازل كثيرة واقطع من البرية قطعة فعملها ميداناً عوضاً من الميدان الذي ادخله في العمارة .

التاج[1] على دجلة وعمل وراءه من القباب والمجالس عجائب . وما زال الخلفاء يستجدون فيها البنيان العجيب ويوسعونها .

فاما دار المملكة المختصة بالسلاطين فانها كانت باعلى المخرم وكانت داراً لسبكتكين غلام معز الدولة فنقض عضد الدولة اكثرها واراد ان يعمل ميدانها بستاناً ويأتي بماء من « الخالص » فشق نهراً في وسطها فبلغت النفقة خمسة الف الف درهم غير ما انفق على ابنية الدار . ولما ورد « طغرل بك » بغداد في سنة ثمان وار بعين وار بعمائة عمر هذه الدار وبنى مدينة عند المخرم وتقدم ملكشاه ببناء خانات للباعة هناك وسوق ودروب وبنى الجامع هناك ، ثم ان دار المملكة خربت فاستجدها بهروز في سنة تسع وخمسمائة وحمل اليها اعيان الدولة الفرش الحسنة ، والاشياء الرائقة ، واستدعي القراء والفقهاء والقضاة والصوفية فقرؤا فيها القرآن ثلاثة ايام متوالية فلما كان سنة تسع عشرة وخمسمائة مرت جارية في الليل وبيدها شمعة فوقعت النار في الخيش[2] فاحترقت الدار وكان

---

(١) اقول : ان الذي كان اول من وضع اساسه وسماه بهذه التسمية هو المعتضد لا غيره فانه ابتدأ في بنائه وجمع الرجال لحفر اساسه ثم اتفق خروجه الى آمد فلما عاد رأى الدخان يرتفع الى الدار فكرهه وابتنى على نحو ميلين منه (الثريا) ثم مات المعتضد بالله في سنة ٢٨٩ وتولى ابنه المكتفي بالله فاتم عمارته وقد ذكر الحموي قصته .

(٢) الخيش : ثياب خشنة من الكتان يعمل منها العراقيون مراوح وقد الغز فيها الحريري فقال :

وجارية في سيرها مشمعلة ... ولكن على اثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها ... على انه في الاحتثاث رسيلها
ترى في اوان القيظ تنطف بالندى ... ويبدو اذا ولى المصيف قحولها

قال الشريشي : وهذه المروحة - مروحة الخيش - تستعمل ببلاد العراق تكون شبه الشراع للسفينة وتعلق من سقف البيت ويشد فيها حبل ويدار بها مشيها وتبل بالماء وترش بماء الورد فاذا اراد الرجل في القائلة او الليل ان ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجيء فيهب على الرجل منها نسيم طيب الريح بارد فيذهب عنه اذى الحر ويستطيب به النوم وهي فوقه ذاهبة وجائية . قال : ولذلك سماها - اي الحريري - جارية . وللسري الموصلي فيها :

وخيش كما انجرت ذيول غلائل ... مصندلة يختال فيها الكواعب
وقد اطلت فيها الشمائل وانثنت ... مقيدة عن جانبيها الجوانب

السلطان على السطح فنزل هاربا الى سفينة وذهب كل ما كان فيها من الآلات والجواهر ما يزيد قيمته على الف الف دينار وكان على مدينة المنصور سور ، وعلى ما بنى المهدي من الرصافة سور فلما نزل المعتضد القصر الحسني ووافقه كثير من الناس كثرت العمارات ولم يكن هناك سور وبقيت على هذا الى ان جاء الغرق في سنة ستة وستين وار بعمائة فدخل البلد ولم يكن ثم مانع فخرج الوزير عميد الدولة ابو منصور بن جهم في سنة ثمان وثمانين وار بعمائة فخط السور على الحريم وقلده وتقدم بجبايات المال الذي يحتاج اليه من عقارات الناس ودورهم ، وأذن للعوام في الفرجة والعمل فحمل اهل المحال السلاح وجاؤا بالاعلام والبوقات والطبول ومعهم المعاول والسلات (١) وانواع الملاهي فعمل اهل باب المراتب فيلا من البواري المقيرة وتحته قوم يسيرون به ، وعملوا زرافة كذلك واتى اهل قصر عيسى بسميرية (٢) كبيرة وفيها ملاحون يجذفون وهي تجري على هاذور (٣) قد عملوه واتى اهل سوق يحيى بناعورة تدور معهم في الاسواق وعمل اهل سوق المدرسة قلعة خشب تسير على عجل وفيها الغلمان يضربون بقسي البندق والنشاب واخرج قوم عنزاً على عجل وفيها حائك ، والخبازون جاؤا بتنور وتحته مايسيره والخباز يخبز ويرمي الخبز الى الناس . وكان بناء السور مائة قامة فلم يزل كذلك حتى عزم المسترشد على بنائه في سنة سبع عشرة وخمسمائة فتقدم بجباية العقار الذي للناس فحصل منه مال كثير فضج الناس فاعيد عليهم وانفق عليه من ماله وأذن للناس في الخروج للفرجة والبناء فخرجوا على تلك القاعدة فكان كل اسبوع يعمل اهل محلة وجعل للسور اربعة ابواب وعرضه اثنان وعشرون ذراعاً ، ثم ان دجلة زادت زيادة عظيمة

---

(١) لعله السلات .
(٢) قال الزبيدي في المستدرك : السميرية ضرب من السفن .
(٣) اهزوجة بلغة العوام .

في سنة اربع وخمسين في خلافة المقتفي لامر الله وانفتح القورج واحاط الماء بالسور وانثلمت منهُ ثلم عجزوا عن سدها فاتسعت فتهدم معظم محال بغداد فتقدم المقتفي بعمل مسناة حول السور فعمل بعضها وتوفي . وولي المستنجد فعملوا منها قطعة وتوفي . وولي المستضيء فعمل بمقدار ماعمل في زمن الخليفتين .

انهار بغداد

كانت ببغداد انهار تجري بين المحال والدور ، واكثرها يأخذ من نهر عيسى بن علي الهاشمي ونهر عيسى يأخذ من الفرات وكان عند قنطرة دمما فاذا انتهى الى المحول تفرعت منهُ الانهار التي كانت تتخرق مدينة السلام ثم يمر الى قرية الياسرية وعليهِ هناك قنطرة ثم الى الزياتين وعليهِ هناك قنطرة (تعرف بقنطرة الزياتين ثم يمر الى موضع باعة الاشنان وعليهِ هناك قنطرة تعرف بقنطرة الاشنان) ثم الى موضع باعة الشوك وعليهِ هناك قنطرة تعرف بقنطرة الشوك ثم يصير الى موضع باعة الرمان وعليهِ هناك قنطرة تعرف بقنطرة الرمان ثم يصير الى قنطرة المغيض وعنده الارحاء ثم الى قنطرة البستان [١] ثم الى قنطرة المعبدي [٢] ثم الى قنطرة بني زريق ثم يصب في دجلة (اسفل قصر عيسى) . واما الصراة فيأخذ من نهر عيسى فوق المحول فيمر بقنطرة العباس ثم بقنطرة الصينيات ثم بقنطرة رحى البطريق وهي قنطرة الزبد ثم بالقنطرة العتيقة ثم بالقنطرة الجديدة ثم يصب في دجلة . ويحمل من الصراة نهر يقال له خندق طاهر (بن الحسين) اوله اسفل من فوهة الصراة بفرسخ يدور حول سور المدينة مما يلي الحربية الى ان يصل باب الانبار وعليهِ هناك قنطرة ثم يمر الى باب الحديد وعليهِ هناك قنطرة ثم يمر الى باب حرب وعليهِ هناك

---

(١) كان في الاصل البنيان .

(٢) في الاصل المثنين .

قنطرة ثم الى باب قطربل وعليه هناك قنطرة ثم يمر في وسط قطيعة ام جعفر ويصب في دجلة . . ويحمل من الصراة [(١)] نهر يقال له كرخايا [(٢)] اوله تحت المحول ويتفرع منهُ نهر آخذ في ربض ممتد ، حتى ينتهي الى سويقة أبي الورد ، ثم يمر ببركة زلزل فيدور فيها ثم يمضي الى باب طاق الحراني ثم يصب في الصراة اسفل من القنطرة الجديدة . . والانهار التي كانت تتخرق المحال كثيرة وقد بقي من الاسماء نهر البزازين ونهر طابق ونهر الدجاج ونهر القلائين . . وقد كان نهر [(٣)] يأتي من دجيل ويأتي الى الحربية في قنوات . . وكان في الجانب الشرقي نهر موسى يأخذ من نهر «بين» الى ان يصل الى قصر المعتضد المعروف بالثريا ثم يخرج (الى موضع يقال له مقسم الماء) فينقسم ثلاثة انهار فيدخل احدها الى بستان الزاهر فيسقيه ويمضي الثاني الى باب «بيبرز» [(٤)] فيدخل البلد ويسمى نهر «المعلى» يمر بين الدور الى باب سوق الثلاثاء ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ويصب في [(٥)] دجلة . وهذا معلى من كبار قواد الرشيد ولي البصرة وفارس والاهواز واليمامة والبحرين ، ويمر النهر الثالث فيدخل الى القصر الحسني ويصب في دجلة . ويخرج نهر من الخالص يقال له نهر «الفضل» الى ان ينتهي الى باب «الشماسية» فيدخل شارع المهدي ثم يجيء الى قنطرة «البردان» ويدخل دار الروم ثم يجيء الى الرصافة ويمر في الجامع .

---

(١) في مقدمة الخطيب البغدادي وغيرها : ويحمل من نهر عيسى .

(٢) في معجم البلدان : كرخايا بالفتح ثم السكون وخاء معجمة وبعد الالف ياء مثناة من تحت * هو نهر كان ببغداد يأخذ من نهر عيسى تحت المحول .

(٣) وهذا النهر يقال له بطاطيا راجع مقدمة تاريخ بغداد « ص : ٦٨ » .

(٤) في الاصل « برز » وكتب في الهامش : كذا رأيته بخط ابن الجوزي .

(٥) في الاصل : الى .

جسور بغداد

اول من عقد الجسر ببغداد المنصور فانهُ لما بنى قصره «الخلد» في سنة تسع وخمسين ومائة عقد الجسر عند باب الشعير وروي انهُ عقد ثلاثة جسور احدها للنساء ثم عقد لنفسهِ وحشمهِ جسرين بباب البستان . وعقد الرشيد عند باب الشماسية جسرين فلما قتل الامين عطلت هذه الجسور وبقي منها ثلاثة ثم عطل واحد . وروي ان (أبا) علي بن شاذان قال : ادركت ببغداد ثلاثة جسور احدها يحاذي سوق الثلاثاء وآخر بباب الطاق والثالث عند الدار العزية . وقيل: ان الذي كان عند الدار العزية نقل الى باب الطاق فصار هناك جسران يمضي الناس على احدهما ويرجعون على الآخر ثم لم يبق غير جسر واحد عقد عند مشرعة الروايا من الجانب الغربي ، ولم ير في زمان المسترشد ومن بعده من الخلفاء غير جسر واحد كان عند نهر عيسى ثم نقل الى باب القرية ثم عملت المرأة (١) الملقبة بنفشه جسراً جديداً مستأنف السفن والسلاسل جعلته مكان هذا الجسر العتيق ورد ذلك الى مكانه من نهر عيسى وذلك في زمن المستضيء بأمر الله فصار للناس جسران .

مساجد بغداد وجوامعها

أما المساجد فلا تحصى كثيرة ، وأما الجوامع فأول جامع بناه بها المنصور ملاصق قصره المعروف بقصر الذهب بناه باللبن ومساحته مائتا ذراع في مائتين فأمر الرشيد بنقضه واعاد بناءه بالآجر والجص وكتب عليه اسم الرشيد ثم زيد فيه دار القطان وكانت قديماً ديواناً للمنصور تولى عمارتها قطان كان غلام مفلح التركي فنسبت اليه وذلك في سنة ستين (او احدى وستين) ومائتين .

---

(١) في الاصل : الجهة .

ثم اخبر المعتضد بالله ان الجامع يضيق عن الناس فزاد فيه الصحن الاول وهو قصر المنصور ووصله بالجامع وزاد فيه بدر مولى المعتضد المسقطات المعروفة بالبدرية .

جامع الرُصافة

بناه المهدي في اول خلافته الى ان ولى المعتضد وعمر القصر الحسني في سنة ثمانين ومائتين فكان يأذن للناس في دخول الدار يوم الجمعة للصلاة وليس قد رسم مسجداً فلما استخلف المكتفي في سنة تسع وثمانين ومائتين امر بهدم مطامير كان قد عملها المعتضد وامر ان يعمل مكانها مسجد جامع فعمل هذا الذي هو الآن واقيمت الصلاة في الجوامع الثلاثة وكان في براثا مسجد[1] يجتمع فيه قوم من الشيعة وربما ذكروا الصحابة فأمر بكبسه عليهم فاخذوا وعوقبوا وحبسوا وهدم المسجد وعفي اثره (ووصل بالمقبرة التي تليه ومكث خراباً) الى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة فامر الامير بجكم باعادة بنائه فبني بالآجر والجص وسقف بالساج المنقوش ووسع فيه وكتب في صدره اسم الراضي بالله ثم امر المتقي بالله بنصب منبر فيه واقيمت الجمعة فيه في سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، ثم اضيف الى هذه المساجد مسجد القطيعة ، روى : ان امرأة في الجانب الشرقي رأت في منامها النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرها انها تموت في غد عصراً وانه يصلي عليها في مسجد بقطيعة ام جعفر من الجانب الغربي ، ووضع كفه في حائط القبلة ففسرت هذه الرؤيا في يومها فقصد الناس الموضع فوجدوا اثر الكف وماتت بقية اليوم وكان ذلك سنة تسع وسبعين وثلثمائة فعمر ذلك المسجد ابو احمد الموسوي ووسعه بعد الرؤيا واستأذن الطائع لله ان يجعله مسجداً يصلي الناس فيه ايام الجمع واحتج بأنه من وراء خندق يقطع بينه وبين البلد

---

(١) أنظر « ص : ٢٤ » .

فاذن له في ذلك وصار جامعاً . . وكان ابو بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي قد بنى مسجد الحربية في ايام المطيع لله ليكون جامعاً للناس يخطب فيه فمنع المطيع من ذلك فلما استخلف القادر (بالله) استفتى الفقهاء فاجازوا الصلاة فيه فانهى ذلك اليه فرسم ان يعمر ويكسى وينصب فيه منبر ورتب له امام وصلي فيه سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ، وما زالت الجمع تقام في جامع المدينة وجامع الرصافة وجامع القصر ومسجد براثا ومسجد القطيعة ومسجد الحربية الى ان تبطلت من مسجد براثا بعد الخمسين والار بعمائة وكانت الجمعة كالعيد في هذه الجوامع خصوصاً في جامع المدينة فانهُ كان قديماً لا يسع الناس فالحقت فيه (١) دار القطان والبدرية ومدت ستائر على بابه لها حلق وكان الناس يمتدون فيه الى دجلة .

روى : ان أبا بكر بن الصلت قال : كنت اصلي صلاة الجمعة في جامع المدينة فانقطعت جمعة لعارض عرض لي فرأيت تلك الليلة في المنام قائلا يقول لي : تركت الصلاة في جامع المدينة وانه ليصلي فيه في كل جمعة سبعون ولياً لله عز وجل . . وكان القاضي ابو تمام الزينبي يصلي في ايام الجمع على باب داره الراكبة لدجلة بباب خراسان والصفوف مادة من المسجد الى ذلك المكان والصلاة قائمة بمكبرين ينقلون التكبير عند الركوع والسجود وعلى ابواب المقصورة بوابون بثياب سود يمنعون من دخول احد اليها الا من كان من الخواص المتميزين بالاقبية السود ، وكان ذلك رسماً في سائر مقاصير الجوامع وقد بطل حتى صار لا يلبسه الا الخطيب والمؤذنون . وكان في زمن عضد الدولة يقف الانسان عند الباب الحديد من شارع الرصافة والصفوف ممتدة من المسجد الجامع بالرصافة الى هذا الموضوع ومسافة ما بينهما كمسافة مابين

(١) كذا الاصل والصواب : فالحقت به .

المسجد الجـامع بالمدينة ودجلة . وحكى ابن محفوظ قال : كنت امضي الى الجامع بالمدينة لصلاة الجمعة فربما وصلت الى باب خراسان في دجلة وقد ضاق الوقت وقامت الصلاة وامتدت الصفوف الى الشاطىء فيصلي هناك . ثم امر السلطان ملكشاه بن محمد بن الب ارسلان بعمارة جامع بالمخرم وهو الجامع المسمى بجامع السلطان وتولى السلطان تقديره بنفسه وسوى قبلته جماعة من الرصديين واشرف على ذلك قاضي القضاة ابو بكر الشامي وحملت اخشابه من جامع سر من رأى ولم يتممه فتمم عمارته بهروز الخادم في سنة اربع وعشرين وخمسمائة ولم تزل هذه الجوامع كثيرة الفرج وكانت الفرجة والنزهة وافرة بجامع المنصور كل جمعة الى ان انشئت بالجانب الغربي جوامع منها جامع بدار القز في سنة ثلاثين وخمسمائة ، ثم جامع العقبة استأذن عمر بن بهلقا الطحان في عمارة مسجد العقبة من ماله وان يجعله جامعاً فاذن له فصليت به الجمعة في منتصف شعبان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة . ثم جامع العتابيين اذن في صلاة الجمعة فيه المستنجد بالله في شوال سنة ست وخمسين وخمسمائة . ثم مسجد التوثة اذن في صلاة الجمعة فيه المستضيء بامر الله في رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة . ثم مسجد شارع دار الرقيق اذن في صلاة الجمعة فيه في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة . ثم مسجد بقصر عيسى عمره ابو المظفر الحسن ابن هبة الله بن المطلب واستأذن المستضيء بامر الله في عقد الجمعة فيه فاذن في ذلك بشرط فتوى الفقهاء بجواز ذلك فاجاز بعض الفقهاء فعقدت الجمعة فيه في اواخر سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، ثم منع المستضيء من الصلاة فيه فلما ولي الناصر لدين الله سئل في ذلك فاجاب فصلى فيه في اواخر ذي الحجة سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

واما الحمامات

قال احمد بن طاهر: ذكر في كتاب بغداد ان عدة الحمامات بها كان ستين الف حمام واقل ما يكون في كل حمام خمسة نفر: حامي ، وقيم ، وزبال ، ووقاد ، وسقاء ، يكون ذلك ثلثمائة الف رجل . وذكر انه يكون بازاء كل حمام خمسة مساجد فتكون ثلثمائة الف مسجد واقل ما يكون في كل مسجد خمسة نفر يكون ذلك الف الف وخمسمائة الف انسان يحتاج كل انسان من هؤلاء في ليلة العيد الى رطل صابون يكون ذلك الف الف وخمسمائة الف رطل صابون . وقيل: عدت الحمامات ببغداد في ايام المقتدر فكانت سبعة وعشرين الف حمام ، وعدت في زمن ابي علي بن بويه فكانت بضعة عشر الف حمام . وعدت في زمن عضد الدولة خمسة آلاف حمام . وفي سنة عشرين واربعمائة حزرت بمائة وسبعين حماماً .

السماريات (١)

أحصيت في أيام ابي أحمد الموفق فكانت ثلاثين الفاً قدر من كسب ملاحيها كل يوم تسعون الف درهم ، وكانت الابنية متصلة بالمدينة من شاطىء دجلة الى الكبش والاسد وهما موضعان قريبان من قبر ابراهيم الحربي ، وكان المجتاز لا يخلص في سوق الكبش والاسد من كثرة الزحمة .

وكانت بغداد

في زمن الرشيد في غاية الحسن، ثم تتابعت الفتن ووقع الخراب وما زالت الفتن والمحن متواترة الى ان وقع بين الرافضة واهل السنة فتنة احرقوا من الجانب الغربي ما لا يحصى من الدور والمساكن والحوانيت وقلت المعايش وكثر الجور وفترت الهمم عن طلب العلوم وغيرها ، وكان اهلها في سعة من

(١) انظر « ص : ١٧ » .

الاوزاق ورخص الاسعار فانتقل عنها معظمهم .. قال محمد بن صالح الهاشمي: اخبرني رجل كان يبيع سويق الحمص منفرداً بهِ لا يبيع غيره أن في سنة ستين وثلمائة حصر مايعمل في سوقه من هذا السويق كل سنة فكان مائة واربعين كراً يكون حمصاً مائتين وثمانين كراً تخرج كل سنة حتى لا يبقى منها شيء (ويستأنف عمل ذلك للسنة الاخرى) وسويق الحمص غير طيب، وانما يأكله المتجملون والضعفاء شهرين او ثلاثة عند عدم الفواكه ومن لا يأكله من الناس اكثر. قال الخطيب: ولو طلب من هذا السويق اليوم في جانبي بغداد مكوك[1] واحد ماوجد . وروي: ان داود بن صقر البخاري قال: رأيت في زمن أبي جعفر كبشاً بدرهم وجملا بأربعة دوانيق[2]، والتمر ستون رطلا بدرهم، والزيت ستة عشر رطلا بدرهم، والسمن ثمانية ارطال بدرهم والرجل يعمل، بالروزجار في السور كل يوم بخمس حبات . وقال الحسن بن سلام: كان ينادى على لحم البقر في جبانة كندة تسعون رطلا بدرهم، ولحم الغنم ستون رطلا بدرهم، والعسل عشرة ارطال بدرهم، والسمن اثنا عشر رطلا بدرهم .

وصف بغداد ومحالها (*)

وقال ابو الوفاء بن عقيل: سألني صدر من صدور طريق خراسان عن بغداد وما ادركت بها . فقلت: لا اذكر لك امراً تكاد تستبعده فأذكر لك محلتي وهي واحدة من عشر محال كل محلة كبلد من بلاد الشام وهي المعروفة بـ « باب الطاق » ، اما شوارعها فشارع مما يلي دجلة من احد جانبيه قصور على دجلة طراز ممتد من عند الجسر الى اوائل « الزاهر » وهو بستان

---

(١) مكيال معروف لاهل العراق ويختلف مقداره باختلاف اصطلاح الناس عليه في البلاد . وفي حديث انس ان رسول الله « ص » كان يتوضأ بمكوك .

(٢) جمع دانق وهو سدس الدرهم ويفتح نونه كالداناق .

(*) هذا العنوان وضعناه من عندنا ولم يكن في الاصل .

للملك نحو مائتي جريب وجانبه الآخر مساجد ارباب القصور ومساكن غلمانهم، وفي خلال ذلك اصطبلاتهم، ثم يليه من يمنته عند الجسر سوق يحيى الجامعة بين دور الوزراء والامراء مما يلي الشط كدار شادي والريب وابن الاوحد وقصر الوافي الذي كان عليق دوابه كل يوم الف مخلاة . ثم في آخر هذا السوق دار فرج مساكن التناة والرؤساء ومن الجانب الغربي — أعني جانب سوق يحيى — الدكاكين العالية ، والدروب العامرة من دقاقين وخبازين وحلاويين ثم نهاية الدور الشاطئية دار معز الدولة ذات المسناة التي عرضها مائة آجرة، وكان لها الروشن[١] البديع ، فهذا طراز باب الطاق الشاطيء. فأما دواخلها فأوائلها العرصة التي هي رحبة الجسر وتنقسم رحبة الجسر الى شارعين عظيمين احدهما للاساكفة ، ثم سوق الطير وهو سوق يجمع الرياحين وفي حواشيها الصيارف الظراف، واصحاب الطيالس ، وفاخر الملابس ، ثم سوق المأكول الخبازين والقصابين وسوق الصاغة لم يشاهد احسن بناء منهُ بناء شاهق واساطين ساج عليها غرف مشرفة . ثم الوراقين سوق كبيرة وهي مجالس العلماء والشعراء . ثم سوق الرصافة عظيمة جامعة ، ثم شارع الترب، وقصر المهدي، وجامع الرصافة ، ودرب الروم ، وشارع عبد الصمد ، والسقايات العجيبة في طريق الجامع ذات الاجراس الكثيرة . . ونظير هذا من الجانب الغربي الكرخ وشاطئه قصور منتظمة ذوات دواليب و بساتين و رواشن متقابلة و بين يدي ذلك دار خيطية[٢] مشذبة لرب الدار مسرجة بالحلية المليحة والرجاشات[٣]

---

(١) الروشن : الكوة كما في الصحاح وهي فارسية .

(٢) الرجاشة بالجيم (وكان في الاصل بالحاء المهملة) مايثير العجب في النفس من زينة الابنية ونقوشها وبديع محسناتها ويقال : انها من اصل ارمي مبنى ومعنى .

(٣) في الاصل حيطية بالحاء المهملة ووردت في كتاب احسن التقاسيم للمقدسي (ص: ٣٢) بين انواع سفن العراق بالخاء المعجمة كما اثبتناها وهي الصواب .

العجيبة ، والبط يتلاعب في مشرعة الدار الشاطئية ولربما اختلطت اصوات اغانيها برنيم دواليبها ، ونقيق بطها ، وضجة غلمانها وخدمها ، ودجلة تنسل بين شاطىء قصورها الشاطئية . ولقد نزلت كثيراً في سميرية (١) منحدراً فما ازال اسمع هذه الانغام من شرعة الجسر بباب الطاق الى باب المراتب ، وكان للدور الشط ابواب الى شوارعها وعلى كل باب مراكب مسرجة مهيأة لركوب الظهر كما بين ايدي رواشنها خيطية او زبزب (٢) لركوب الشط والناس كأنهم في دعوة لا تخلو من ختان صبي ، او زفاف امرأة ، وفي السبوت مجالس القراء على الكراسي بالالحان وحلق الملاج والصراع ومسابقة السفن ، ومن احسن القصور كانت دار الفخرية بالغربي ودار المملكة بالشرقي ، ولم يكن للدار العزية مثل دار بلدرك والحريم الطاهري وذوره الشاطئية وسوره الدائر وبابه الحديد ودار الامير حسن بن اسحق بن المقتدر الذي عرضت عليه الخلافة فأباها ، ووراء الحريم شارع دار رقيق محلة كبيرة كثيرة المنازل العجيبة . ثم درب سليمان والمارستان وسوقه العجيب ثم دار النقابة الشاطئية . قال : وكنت اسمع من المشايخ ان بدجلة خمسمائة مصفرة مزينة لا يركب فيها الاظراف التجار والاجناد وارباب المقاطعات ، الرجل وغلامه والملاحون بالثياب الجميلة . ثم باب البصرة ذات السكك البعيدة ، ومن الجانب الشرقي « الزاهر » بستان عظيم جامع للنخل والازهار ووراءه ثلاث محال سوق السلاح والمخرم وسوق الداية ، وتمتد العمارة الى نهر معلى ودار الخلافة وتاجها العجيب وهي بنفسها بلد . وباب المراتب ، محلة تختص بالكبراء وارباب المناصب ، وباب الازج والمأمونية . . وفي الجانب الغربي قصر عيسى وقصر المأمون والتوثة وغير ذلك . وجمعت الكرخ منازل عجيبة بديعة البناء ، وفيها درب الزعفران وفيه الدار

---

(١) قال الزبيدي في المستدرك : السميرية ضرب من السفن . (٢) ضرب من السفن

العجيبة ودرب رياح وشارع ابن ابي عوف و باب محول ، وكان بسور الحلاويين خزانة كتب فيها اثنا عشر الف مجلد ، وكانت اسواق الكرخ و باب الطاق لايختلط العطارون بار باب الزهائم والروائح المنكرة ولا ار باب الانماط ، بار باب الاسقاط ، وكان لار باب المرؤآت دروب تخصهم ، درب الزعفران بالكرخ لايسكنهُ ار باب المهن بل اهل البز والعطر . ودرب سليمان في الرصافة مقصور على القضاة والشهود وكبار التجار .

مقابر بغـداد

هي كثيرة لكن منها في الجانب الغربي مقابر قريش ، دفن فيها موسى ابن جعفر عليه السلام وجماعة من الافاضل (١) . ودفن في مقابر باب الشام عبدالله بن علي في سنة سبع وار بعين ومائة ، ومقبرة باب التبن على الخندق بأزاء قطيعة ام جعفر دفن فيها عبدالله بن احمد بن حنبل رضي الله عنهما (بوصية منه) ، و (ذاك انه) قال : قد صح عندي أن بالقطيعة نبياً مدفوناً ولان اكون في جوار نبي احب الي من ان اكون جوار ابي ، ومقبرة باب حرب خارج المدينة ورآء الخندق وهو حرب بن عبدالله احد صحابة المنصور واليه تنسب الحربية وهي مشهورة ودفن فيها بشر الحافي ثم احمد بن حنبل رضي الله عنهما . يروى : ان احمد بن العباس قال خرجت من بغداد اريد الحج فاستقبلني رجل عليه اثر العبادة فقال لي : من اين خرجت ؟ قلت : من بغداد ، هربت منها لما رأيت فيها من الفساد خفت ان يخسف باهلها . فقال : ارجع ولا

---

(١) قال ياقوت : كان المنصور اول من جعلها مقبرة لما ابتنى مدينته سنة ١٤٩ ، وكان اول من دفن فيها جعفر الاكبر بن المنصور امير المؤمنين في سنة ١٥٠ . وهي مقبرة مشهورة ومحلة فيها خلق كثير وعليها سور بين الحربية ومقبرة احمد بن حنبل (رض) والحريم الطاهري وبينها وبين دجلة شوط فرس جيد .

تخف فان فيها قبور اربعة من اولياء الله هم حصن لهم من جميع البلايا [١].
قلت : من هم ؟ قال : ثم الامام احمد بن حنبل ، ومعروف الكرخي ، و بشر ابن الحرث [٢] ومنصور بن عمار [٣] فرجعت وزرت قبورهم .. واما المقبرة التي يقال انها مقبرة الشهداء [٤] فوق قبر احمد بن حنبل فان العوام يقولون : هؤلاء جماعة كانوا مع علي عليه السلام في قتال الخوارج بالنهروان وماتوا هناك . وهذا شيء لا اصل له [٥] .. وبنواحي الكرخ مقابر عدة فيها مقبرة باب الكناس مما يلي براثا فيها جماعة من اهل العلم ، ومقبرة الشونيزي فيها سري والجنيد وغيرهما من اكابر الزهاد ، وكانت مقابر قريش تعرف قديماً بمقبرة الشونيزي الصغير . (والمقبرة التي وراء التوثة تعرف بمقبرة الشونيزي الكبير ، و) كان أخوان يقال لكل واحد منهما الشونيزي فدفن كل واحد منهما في هاتين المقبرتين فنسبت المقبرة اليه ، ومقبرة باب الدير التي دفن فيها معروف الكرخي

---

(١) هذا حديث خرافة ، كان على المؤلف ان ينزه كتابه منه . وليت شعري اذا كانت هذه القبور حصناً للبغداديين من البلايا فلم لم تدفع عنهم بلاء الجهل والهوان ؟!

(٢) في قصبة الاعظمية اليوم قبر عليه قبة شادها بعض المبتدعة القبوريين يزعم الناس خاصتهم وعامتهم انه قبر بشر بن الحارث الحافي وهذا وهم بين ، وزعم مخالف لما يذكره المؤرخون فان قبر بشر ـ كما يقول المؤلف وغيره ـ في الحربية والحربية في الجانب الغربي (الكرخ) لا الشرقي ، كما ان قبر الامام احمد (رض) هناك ايضاً ـ على اقوال المؤرخين اجمع ، او بالشونيزية على ما انفرد به شيخ مشايخنا السيد محمود الالوسي في كتابه الطراز المذهب (ص : ١٠٣) ـ لا بالاعظمية التي كانت تسمى مقبرة الخيزران كما يتوهم ايضاً. ويقال ان قبر الامام قد استولت عليه دجلة ،

(٣) في الاصل : العماد

(٤) قال ياقوت : مقابر الشهداء ببغداد اذا خرجت من قنطرة باب حرب فهي نحو القبلة عن يسار الطريق لا ادري لم سميت بذلك .

(٥) قال الخطيب البغدادي في مقدمة تاريخ بغداد (ص : ٨٧) : وقد كان حمزة ابن محمد بن طاهر ينكر ايضاً ما اشتهر عند العامة من ذلك وسمعته يزعم انه لا اصل له . والله اعلم ،

وكان ابراهيم الحربي يقول : قبر معروف الترياق المجرب ؟ (١) وفي الجانب الشرقي مقبرة الخيزران زوجة المهدي وفيها قبر محمد بن اسحق صاحب المغازي وأبو حنيفة صاحب الرأي . ومقبرة عبد الله بن مالك تعرف بالمالكية فيها قبور جماعة من العلماء والزهاد ، ومقبرة باب البردان فيها جماعة من الفضلاء . وقريب من جامع الرصافة قبر فيه بعض اولاد علي عليه السلام يتبرك به !!؟ يقال: انه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين .

فصل

قال بعض الحكماء : الدنيا بادية و بغداد حاضرتها (٢) . وقال الصولي : حدثني من سمع الشافعي يقول : مادخلت بلداً قط الا عددته سفراً الا بغداد فاني حين دخلتها عددتها وطناً . قال مجاهد: (٣) رأيت ابا عمرو بن العلاء في النوم فقلت له : مافعل الله بك ؟ فقال : دعني مما فعل الله بي ، من اقام ببغداد

(١) كان على المصنف وهو هوان ينزه كتابه عن اقوال وحكايات خرافية لاعلاقة لها بالتاريخ مثل هذا النقل الذي هو اشبه باقوال المشركين منه باقوال اهل الاسلام ، ومثل قوله في آخر هذا الفصل : وقريب من جامع الرصافة قبر .... يتبرك به ، وغيرهما من نزغات المشركين وشبهاتهم التي فتحت علينا للاشراك بابا عظيما . واعلم ان مدار هذه الشبه - على ماحقق الامام شيخ الاسلام في اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة اهل الجحيم - على اصلين ، منقول : وهو ما يحكى من نقل هذه الاقوال والادعية عن بعض الاحيان . ومعقول : وهو ما يعتقد من منفعتها بالتجارب والاقيسة . فاما النقل في ذلك فاما كذب او غلط وليس بحجة بل قد ذكر رحمه الله النقل في كتبه عمن يقتدى به بخلاف ذلك ، واما المعقول فان عامة ما يذكرونه من المنافع في قبور الصالحين رحمهم الله - كذب ، فان هؤلاء الذين يتحرون الدعاء عند القبور وامثالهم انما يستجاب لهم في النادر ويدعو الرجل منهم ما شاء الله من دعوات فيستجاب له في واحدة ويدعو خلق كثير منهم فيستجاب للواحد بعد الواحد . واين هؤلاء من الذين يتحرون الدعاء في اوقات الاسحار ويدعون الله في سجودهم وادبار صلواتهم وفي بيوت الله ؟ الى آخر ما اطنب فيه من التحقيق واجاد كعادته في كل ما يكتبه (رض) . ونسأل الله تعالى ان يبصر المسلمين في امر دينهم ودنياهم .

(٢) هذا القول يعزى الى ابي اسحاق الزجاج ورواه النويري في نهاية الارب والحموي في معجم البلدان ، والثعالبي في المضاف والمنسوب بلفظ : بغداد حضرة الدنيا وما عداها بادية .

(٣) في معجم البلدان : ابن مجاهد المقرئ .

على السنة والجماعة ومات نقل من جنة الى جنة . قال بعض الصالحين : اردت الانتقال من بغداد فأريت في منامي انتقل من بلد فيه عشرة آلاف ولي لله عزوجل فاقمت ولم انتقل منها . وقال الجاحظ : رأيت المدن العظام بالشام والروم وغيرهما فلم ار مدينة قط ارفع سمكاً، ولا اجود استدارة، ولا اوسع ابواباً، ولااجود فصلاً، من مدينة ابي جعفر كأنما صبت [١] في قالب وكأنما افرغت افراغاً . قال محمد بن عبيدالله التيمي : سمعت ذا النون يقول بمصر : من اراد المروءة والظرف فعليه بسقاة الماء ببغداد . فقيل له : وكيف ذاك ؟ فقال : لما حملت الى بغداد رمي بي على باب السلطان مقيداً فمر بي رجل متزر بمنديل ديبقي بيده كيزان خزف رقاق وزجاج مخروط فسألت هذا ساقي السلطان ؟ فقيل لى: لا، هذا ساقي العامة ، فأومأت اليه :اسقني ،فتقدم وسقاني فشممت من الكوز رائحة مسك فقلت لمن معي : ادفع اليه ديناراً فاعطاه فابى وقال : لا آخذ منك شيئاً . فقلت له : لم ؟ فقال : انت اسير وليس من المروءة ان آخذ منك شيئاً . فقلت : كل الظرف في هذا . ومن خالط اهل بغداد وعلماءها عرف فضلهم ولطفهم ،ومن تأمل لطافة العوام بها في مجونهم وحديثهم واشاراتهم التي لا يفهمها اكثر علماء غيرها من البلاد حتى ان فيهم من يقول الشعر المسمى « كان وكان » [٢] فيأتي بمعان لا يقدر عليها فحول الشعراء - تبين

---

(١) في الاصل نصب .

(٢) قال الابشيهي في (المستظرف) والمحبي في (خلاصة الاثر) للكان وكان نظم واحد وقافيه واحدة لكن الشطر الاول من البيت اطول من الثاني ولا تكون قافيته الا مردوفة ، واجزاؤه المعهودة هي :

مستفعلن فعلاتن * مستفعلن مستفعلن *

مستفعلن فاعلاتن * مستفعلن فعلان .

واول من اخترعه (البغداديون) وسموه بذلك لانهم نظموا فيه الحكايات والخرافات .وقولهم: (كان وكان) كناية عن الاحاديث التي لا يعتنى بها ، ثم نظم فيه بعض فضلاء بغداد كالامام ابن الجوزي وشمس الدين الكوفي- المواعظ والحكم وغير ذلك من المعاني كقوله:

له فضلهم ولطافة اخلاقهم . قال يونس بن عبد الاعلى : قال لي محمد بن ادريس: دخلت بغداد ؟ قلت : لا . قال : يا يونس مارأيت الدنيا ولا رأيت الناس. قيل : اذا كان علم الرجل حجازياً ، وخلقه عراقياً ، وطاعته شامية فقد كمل [١].

قال ابو القاسم الديلمي : سافرت الآفاق، ودخلت البلدان ، من حد سمرقند الى القيروان ، ومن سرنديب الى بلاد الروم فما وجدت بلداً افضل ولا اطيب من بغداد . وسألني سبكتكين حاجب معز الدولة : ما رأيت في اسمارك اطيب وافضل ؟ فقلت له : اذا خرجت من العراق ، فالدنيا كلها رستاق .

قال ابو بكر بن حمزة : كتب الي صديق لي من حلوان : اني رأيت فيما يرى النائم كأن ملكين اتيا بغداد فقال احدهما للآخر : اقلبها فقد حق القول عليها. فقال له: كيف اقلبها وقد ختم الليلة فيها خمسة آلاف ختمة . وما زالت الشعراء تمدح بغداد فمما قاله فيها ابو سعيد محمد بن علي بن خلف الهمداني:

فدى لك يا بغداد كل مدينة ... من الارض حتى خطتي وبلاديا
فقد طفت في شرق البلاد وغربها ... وسيرت خيلي نحوها وركابيا
فلم ار فيها مثل بغداد منزلا ... ولم ار فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل اهليها ارق شمائلا ... واعذب الفاظاً واحلى معانيا
وكم قائل : لو كان ودك صادقاً ... لبغداد لم ترحل ، فكان جوابيا :
يقيم الرجال الاغنياء باوضهم ... وترمي النوى بالمقترين المراميا
وما فارقوا اوطانهم عن ملالة ... ولكن حذاراً من شمات الاعاديا

ياقاسي القلب مالك * تسمع وما عندك خبر
ومن حرارة وعظي * قد لانت الاحجار
افنيت مالك وحالك * في كل مالا ينفعك
ليتك على ذي الحالة * تقلع عن الاصرار... الخ

(١) اقول : ذكر الثعالبي في المضاف والمنسوب ان عبد الملك بن مروان ذكر روح بن زنباع فمدحه وقال : لقد جمع ابو زرعة فقه الحجاز ، ودهاء العراق ، وطاعة الشام .

قال (محمد بن علي) بن حبيب (الماوردي) : كتب الي أخي من البصرة (وانا ببغداد) :

طيب الهواء ببغداد يشوقني قدماً اليها وان عاقت مقادير (١)
وكيف صبري عنها الآن اذ جمعت طيب الهواءين ممدود ومقصور

فصل

قال هلال بن المحسن : عبرت الى الجانب الشرقي من مدينة السلام بعد الاحداث الطارئة فرأيت ما بين سوق السلاح والرصافة وسوق العطش ومربعة الخرسي (٢) والزاهر وما في دواخل ذلك ورواصفه وقد خرب خراباً فاحشاً حتى لم يترك النقض جداراً قائماً ، ولا مسجداً باقياً ، واما بين باب البصرة والعتابيين والخلد وشارع دار رقيق من الجانب الغربي فقد اندرس اندراساً كلياً ، وصار الجامعان بالمدينة والرصافة في الصحراء بعد ان كانا في وسط العمارة .. وقال علي بن ابي مريم : مررت بسويقة عبدالوهاب (٣) وقد خربت منازلها وعلى جدار منها مكتوب :

هذي منازل اقوام عهدتهم في خفض عيش وعز ماله خطر (٤)
صاحت بهم نائبات الدهر فانتقلوا الى القبور فلا عين ولا أثر

وقد كانت على غاية من الحسن والعمارات .. قال ابن هلال : كنت اركب من داري بباب المراتب الى دار معز الدولة بالشماسية في الاسواق بين الظلال

(١) ويروى : معاذير

(٢) قال ياقوت : اما مربعة فكأنه يراد به الموضع المربع. واما الخرسي فبضم الخاء وراء ساكنة وسين مهملة وهي نسبة الى خراسان يقال : خرسي وخراسي وخراساني ، عن صاحب كتاب العين . وهي محلة في شرق بغداد فكان الخرسي هذا صاحب شرطة بغداد واظنه في ايام المنصور.

(٣) تنسب الى عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

(٤) وفي رواية : في رغد عيش رغيب ماله خطر .

والمحال والدروب ، وكذلك بالجانب الغربي والدور على دجلة متقابلة ، و بساتينها متناهية ، وانهارها متشابكة ، وما فيها دار تخلو من الاغاني والافراح، فسبحان الدائم الذي لا يزول ملكه.

فصل

اعلم أن بغداد اسم لمدينة المنصور التي بالجانب الغربي غير أنه لما قرب منها ما يقابلها من الجانب الشرقي اضيف ذكره الى ذكرها وكان حكمها واحداً ، وقد كان الجانب الغربي احصن وامنع واكثر خيراً من الشرقي ، والغربي متحصن بدجلة وهي تمنع العجم ، والفرات وهي تمنع العرب ، وجمهور فوائد بغداد من انهار الفرات ، والغربي قد أمن الغرق وفي كل حين ربما غرق من ماء قبين[1] فقد كان في سني نيف وثلاثين وثلثمائة جاء ودخل مدينة المنصور وهدم طاقات باب الكوفة ، وجاء ايضاً في سنة تسع وستين وخمسمائة فأفسد نواحي المحول وغيرها ، وتحصن منه اهل الجانب الغربي بعمل السكور فمر خلف المحال وقلب في الخندق والصراة ونهر عيسى . واما الجانب الشرقي فقد غرق مراراً، اولها سنة ست وستين وار بعمائة ولم يكن لبغداد سور فدخل الماء الى دار الخلافة والجامع، ومر بباب النوبي وغرق كثير من المحال. ثم عمل السور وجاء الغرق في سنة اربع وخمسين وخمسمائة واحاط بالسور، وتعب فيه ، واغرق كثيراً من المحال، ثم عاد في سنة اربع وستين وخمسمائة فخرب مواضع كثيرة، ثم عاد في سنة اربع عشرة وستمائة، وسنة ست واربعين وستمائة ، وسنة اربع وخمسين وستمائة . كل سنة من هذه السنين اخرب المحال والدور، وسارت السفن في سنة اربع وخمسين في الريحانيين الى الرحبة وباب الغابة . . ولما

(١) بالضم ثم الكسر والتشديد وياء مثناة من تحت وآخره نون اسم اعجمي لنهر ، وولاية بالعراق.

كانت المدائن قريبة من بغداد، بينهما بعض يوم وكانت كالمتصلة بها حسن ان نذكرها : وانما سميت المدائن لكثرة مابني بها من الاماكن في ايام الملوك والاكاسرة وأثروا فيها الآثار وهي مدينتان شرقية تسمى العتيقة وفيها القصر الايبض الذي لايدرى من بناه، ويتصل به المدينة التي كانت الملوك تنزلها وفيها الايوان ، وتعرف بأسبانبر (١) ومدينة غربية تسمى « بهرسير » (٢).

ويقال : ان الاسكندر الذي يقال له « ذو القرنين » المذكور في الكتاب العزيز بناها، وقد بنى مدناً كثيرة منها بالمغرب الاسكندرية، وبخراسان العليا سمرقند والخراسان السفلى مرو وهراة ، ومن ناحيــة الجبل بنى مدينة اصفهان، وجال في الارض وبلغ المشرق والمغرب ولم يختر منزلا الا المدائن وعرلها (٣) وبنى بها مدينة عظيمة وجعل لها سوراً أثره باق الى الآن . وبنى المدينة التي تسمى « الرومية » في جانب دجلة الشرقي فأقام بها الى ان مات بها، وحمل الى امه بالاسكندرية . . وانما اختار الملوك المدائن لجودة تربتها ، وطيب هوائها . .

واما الايوان فبناه ذو الاكتاف واسمهُ سابور بن هرمز فلما جاء سعد بن أبي وقاص وحارب اهل المدائن، وخاض بالخيل اليهم فهربوا، وكان في بيوت اموالهم ثلاثة آلاف الف الف فأخذوا نصف ذلك، وتركوا الباقي، واخذوا ما امكنهم من الاواني والثياب نزل سعد القصر الابيض واتخذ الايوان مصلى ، وجعل

---

(١) ويروى اسفانبر بفاء بدل الباء وقد صحفها بعضهم اسبانير ، واسفانير . وفي تقويم البلدان : اسبانبن .

(٢) كانت في الاصل مهملة وقد اختلف في ضبطها فقال بعضهم (نهر شير) وقال ابن الاثير (بهر شير) بباء موحدة تحتية بدلا من النون . وجاء في فتوح البلدان (بهر سير) بسين مهملة وبفتح الباء وسكون الهاء وفتح الراء وكسر السين . وفي معجم البلدان (بهر سير) بالفتح ثم الضم وفتح الراء وكسر السين المهملة وياء ساكنة وراء وهي معربة من (ده اردشير) او من (به اردشير) كأن معناه خير مدينة اردشير .

(٣) لعله وعني بها ، أو وعين لها .

يقرأ : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة [١] كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوماً آخرين » . واخذ المسلمون ستر باب الايوان فأحرقوه فخرج منهُ الف الف مثقال ذهباً . . وكان فتح المدائن شهر صفر سنة ست عشرة من الهجرة [٢] على يد سعد بن أبي وقاص . وقد ورد المدائن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في طريقه لما قاتل الخوارج بالنهروان وجاز بها لما خرج الى صفين فرأى بعض اصحابه تلك الحال فتمثل :

جرت الرياح على محل ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعاد
فاذا النعيم وكل مايلهى بهِ ... يوماً يصير الى بلى ونفاد [٣]

فقال علي عليهِ السلام : لا تقل هكذا ولكن قل كما قال الله عزوجل : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوماً آخرين » ان هؤلاء القوم كانوا وارثين فاصبحوا موروثين انهم استحلوا الحرم ، فحلت بهم النقم فلا تستحلوا الحرم ، فتحل بكم النقم .

فصل

نذكر فيه فضل بغداد ، على غيرها من البلاد

قد ذكرنا : ان الاقليم الذي فيه بغداد اوسط الاقاليم وهو اعدلها فلذلك اعتدل اصحابه . وعيوب غيرها من البلاد ظاهرة منها : بلدة سجستان ريح

---

(١) النعمة بفتح النون اسم من التنعم والتمتع وهو النعيم .

(٢) اقول : وزعم الزبيدي في التاج انها فتحت سنة اربع عشرة .

(٣) البيتان للاسود بن يعفر النهشلي من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

نام الخلي وما احس رقادي ... والهم محتضر لدى وسادي

ويروى ان عمر بن عبد العزيز ومزاحماً مولاه مرا يوماً بقصر من قصور آل جفنة وقد خرب فتمثل مزاحم بقول الاسود فقال له عمر : الا قرأت (كم تركوا من جنات وعيون) الآية ، ، انظر معجم البلدان (٥ : ١٥٠) والاغاني (١١ : ١٣٠) .

الجنوب تضر اهلها فعيونهم ابداً رمد . وارض السند والهند والخزز بها من الحر ما لا يتخلصون منه الا بالحيل . والترك وخوارزم واهل شرب جيحون تحدهم البحيرة ووادي جيحون . و بمرو من البعوض والبراغيث ما يتحير منهُ الانسان . وماء طخارستان اردى ماء واوبؤه من داوم شربه انتفخ خلقه الا ان اهله قد اعتادوه . والري ونواحيها لا يزال الانسان في امراض من رداءة مائها ووباء ثمارها وهوائها . وجرجان لا يزال اهلها في حمى ربع ونافض [١] واكثر وجوههم مصفرة . ويقال : من ادام المقام بالاهواز عدم عقله وجاهم دائمة وربما ولد المولود محموماً . وقل من يدخل بلاد الزنج الاجرب . ومن اطال النوم بالمصيصة في الحر هاجت به الريح السوداء وربما جن . ومن سكن البحرين عظم طحاله [٢] . وبمصر من البراغيث ما لا يوصف ويبلخ من العقارب ما لا يحصى وكذلك البصرة . وبالموصل وديار ربيعة ومضر جرارات كالعقارب اذا لسعت قتلت في الحال ، وبقزوين مياه اذا شربها الغريب وداوم شربها ولم يكثر الحركة انتفخت رجلاه حتى لا يجد بداً من قطعها ليتخلص بروحه . [٣]

ذبابها الوان الفراش ولا يقدر الانسان ان يقرب من السراج . ومـا يعيب بغداد الا الجامد الذهن كما قيل :

وكم من عائب قولا صحيحاً وآفته من الفهم السقيم [٤]

« تم »

---

(١) حمى الربع بالكسر هي التي تعرض يوماً وتقلع يومين ثم تأتي في الرابع وهكذا. يقال اربعت الحمى عليه بالف وفي لغة ربعت ربعاً من باب نفع كما في المصباح المنير. والناقض : حمى الرعدة .

(٢) قال الجاحظ في خصائص البلدان عن ثقات التجار الذين نقبوا في البلاد : من اقام في البحرين مدة ربا طحاله وانتفخ بطنه . قال الشاعر :

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله * ويغبط بما في بطنه وهو جائع

(٣) هنا كلمات محرفة لم نهتد الى قراءتها .

(٤) البيت لابي الطيب المتني ،

فهرست الكتاب

فهرس ثان لما ورد في الكتاب من اسماء الاعلام والاماكن الخ

مرتب على حروف الهجاء

جدول الخطأ والصواب

ص	س	خ	ص
٢	٥	جمال الدين	بجمال الدين
«	١١	فراقت لي	فراقتني
٨	٢١	والعبارة ترى	والعبارة كما ترى
١٦	٦	الف الف	الاف الف
١٦	٢٢	الشريسي	الشريشي
١٧	١٠	دار بلدرك	ودار بلدرك
و	٨	ذوا	ذو

م. سرمد حاتم شكر